

الحلقة الثامنة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل يتهمك مستمعي الآخرون بالأنانية؟ وهل تفكر دائماً بنفسك وبمصالحك أولاً؟ وهل تسعى لكي تأخذ حصتك قبل الآخرين؟ وأن تكون الأول بين زملائك وأصدقائك؟ قد يكون هذا أمر طبيعي لدى البشر جميعاً، لكن البعض منا تبرز عندهم هذه الناحية وبشكل يلاحظه الآخرون. لم يكن الوضع مختلفاً حتى في زمان المخلص المسيح، وبين تلاميذه. فنقرأ في الإنجيل المقدس ما يلي:

«حِينَئِذٍ تَقَدَّمتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنِي زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئاً. فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ لَهُ: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هَذَانِ وَاحِدٌ عَنِ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِعَا بِالصَّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِعُ بِهَا أَنَا؟» قَالَا لَهُ: «نَسْتَطِيعُ». فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصَّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِعُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِعَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنِ يَمِينِي وَعَنِ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلَّا لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي» (بشارة متى ٢٠: ٢٠-٢٣).

لقد كانت أم ابني زبدي هي والدة التلميذين الأخوين يعقوب ويوحنا. وكأي أم في المجتمعات الشرقية سعت لكي تؤمن لولديها المراكز الأولى في المملكة التي ظننت أن المخلص يسوع المسيح سيؤسسها هنا على الأرض. ولهذا أنتت إليه مع ابنيها وسجدت له. وعندما سألتها المسيح ماذا تريدين؟ أجابته قائلة: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هَذَانِ وَاحِدٌ عَنِ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». أي طلبت منه أن يجلس ابنيها في المناصب الأولى عندما يعلن مملكته، واحداً عن يمينه والآخر عن يساره، دون التلاميذ العشرة الآخرين. سنأمل الآن بهذه الحادثة فابقوا معنا.

لقد كانت المشكلة الأولى التي نواجهها في هذه الحادثة هي ليست طلب والدة ابني زبدي، أن يجلس المسيح ولديها في ملكوته عن يمينه وعن يساره، بل عن مفهومها ومفهوم التلاميذ الخاطئ عن ملكوت الله. فلقد ظنوا أن المسيح سيؤسس مملكة أرضية

يكون فيها هو الملك، وهم أعوانه الذين يحكمون معه. والحقيقة أن هذا كان اعتقاد اليهود عامة، فلقد كانوا ينتظرون المسيح الذي سيقهر الأعداء ويحررهم من سلطة الرومان، ويؤسس المملكة التي سيسودها العدل والسلام. لكنّ المسيح لم يكن وارداً عنده هذا المفهوم، إذ هو قد أتى لكي ينفذ خطة الله بتحرير الإنسان من عبودية الخطيئة ويبدأ ملكوت الله الروحي.

إن خطة الله الأزلية كانت تقضي بتحرير البشر جميعاً من الخطيئة التي أستعبدوا لها، وإدخالهم إلى ملكوت الله، وليس تحرير الشعب اليهودي من العبودية السياسيّة. فبالنسبة إلى الله إن تحرير الإنسان من العبودية الروحية هي الأساس، وهي أهم بكثير من تحرير شعب واحد من العبودية السياسيّة. ولهذا نجد أن المسيح بدأ كرازته بالقول: «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» (بشارة متى ٤: ١٧). فالتوبة عن الخطيئة يجب أن تكون هي البداية لدخول الإنسان إلى ملكوت السموات أو ملكوت الله الذي سيعلنه. وبالتالي إن ملكوت الله هو ملكوت روحي، يملك فيه المسيح الملك على قلوب البشر التائبين.

فلو أراد المسيح تأسيس مملكة أرضية لما دعا الناس إلى التوبة عن خطاياهم. ولما نادى بتعاليم سماوية روحية، ولما اختار تلاميذه من الناس البسطاء. وكان بدأ بإثارة الشعب ضد الرومان، والمناداة بشعارات سياسية، وأخذ يستعد للقيام بثورة مسلحة، لإعلان وتأسيس مملكته الأرضية، وهو ما لم يفعله المسيح البتة.

صديقي المستمع، لقد أجاب المسيح تلميذه ابني زبدي يعقوب ويوحنا قائلاً: «أَسْتَمْتُمْ مَا تَطْلُبَانِ. أَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصَّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟». وهنا كان المسيح يشير إلى كأس موته الكفاري على الصليب، وصبغة معمودية الآلام التي سيصطبغ بها. لقد كان هذان التلميذان يطلبان المجد والمركز من غير المرور بالآلام. وعندما أسرعاً بإجابتهما قائلين أنهما يستطيعان، فقد كان جوابهما مجرد حماس شخصي دون فهم حقيقي للأمر. ومع أن المسيح أجابهما موافقاً أنهما يستطيعان، فقد كان يشير إلى الآلام المبرحة التي سيواجهانها من البشر نتيجة إيمانها به.

ومن المعروف أن يعقوب قد قُتِلَ لاحقاً بالسيف على يد الملك هيرودس، أما يوحنا فقد نُفِيَ إلى جزيرة بطمس. ولم يكن المسيح بالطبع يقصد آلام التكفير عن خطيئة البشر على الصليب، التي تميّز بها وحده. ثم تابع كلامه: «وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَن يَمِينِي وَعَن يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلَّا لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي». أي أن هذا الأمر لا يحق لكما أن تطلبانه أنتما، إذ هو معدّ من الله الأب السماوي. وما عليكما إلا أن تتبعاني أولاً وتتحملا الآلام من أجلي. لأن طريق ملكوت الله ليست مفروشة بالورود والزياحين. ويبيّن

بذلك المسيح أنه خاضع لمشيئة الله الآب كابن للإنسان، وأن المكافآت في هذا الملكوت يقرها الآب السماوي.

وهذا تأكيد آخر أن ملكوت الله الذي تحدّث عنه المسيح، يختلف بالتمام عن مفهوم ملكوت الله الذي فكّر به التلاميذ. لقد فشل التلميذان يعقوب ويوحنا وأمهما في إدراك مفهوم ملكوت الله الحقيقي، وعجزوا بالتالي في إدراك طريق الآلام الذي يجب عليهما السير به، إذا أرادوا حقاً أن يكونوا من أتباع المسيح.

وكان المسيح قد قال: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي» (بشارة متى ١٦: ٢٤). ويبدو واضحاً أن هذين التلميذين قد خالفا هذه القاعدة الرئيسة لاتباع المسيح، وهي إنكار النفس أولاً وحمل الصليب أي المرور بالآلام، وليس طلب الجلوس عن يمين المسيح ويساره في ملكوته.

ألا ترغب مستمعي أن تدخل إلى ملكوت الله؟ أولاً تود أن تكون من أتباع المخلص المسيح؟ إذن عليك أن تتوب عن خطاياك، وتؤمن بالفادي المسيح الذي مات من أجلك على الصليب، ثم قام منتصراً من بين الأموات، لكي يهب كل من يؤمن به الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة والخلود. فهل تتوب وتؤمن؟